

الأربعاء 31-12-2008

488- عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام (4 من 4)

حالة "سامح": تعقيب على المقابلة

مقدمة:

أهينا نشرة أمس بتساؤل يقول :

ماذا يمكن أن تثيره حالة هذا الصبي -هكذا- في نفسك (خاصة لو كنت طبيبا أو معالجا) ؟

• أن تشفق عليه وعلى ما آل إليه شفقة حقيقية بلا حدود؟

• أن تحبه لأنك تقدر ظروفه وتشعر بمأزقه جدا جدا ؟

• أن توصى به أهله أكثر ليزيدوه رعاية وعظما لأنه يحتاج ذلك؟

• أن تسارع بوضع لافتة تشخيصية لأن العرض الفلاني مع العرض العلفي يبران ذلك؟

• أن يستتبع ذلك أن تعطيه ما يحتاجه من مهدئات عظيمة (نيورولبتات) لتهدئة داخله (قديمه- بديله) الذي تحرك في الاتجاه الخاطئ، ثم قفز فجأة يفرض نفسه فيحمله مريضا بعيدا عن الواقع، تعطيه ما تيسر من ذلك لتهمده حتى تزول الأعراض، ويزول معها ما يزول؟

• أن تحاول البحث عن بداية جديدة تمنحه "الاعتراف" وأنت تكابد محاولة صادقة لقبوله "بما هو"، بما في ذلك ما آل إليه في هذه المرحلة باللجوء إلى الخلل المرضي بعد المسار المنحرف ؟

(ربما تكون هذه المحاولة الأخيرة - كبدائية- هي ما أسميناه الاحترام)

أما كيف يكون ذلك ؟ فهذا ما سوف نحاول بيان بعض جوانبه من خلال التعليق على بعض مقتطفات المقابلة مع المريض التي نشرت بكاملها يوم الأربعاء الماضي

مقتطفات من المقابلة مع سامح

(دخل سامح نحيفا باهتا مهملا ملابسه قليلا، حان الظهر وينظر للأرض بشكل ثابت واضح)

د.يحيى : سامح

سامح : نعم

د.يحيى : أقعد يا حبيبي على الكرسي، صباح الخير

سامح : صباح النور

(يصافح الدكتور يحيى بعد أن يهم الأخير من على الكرسي لتسهيل المصافحة عبر المكتب، خاصة وأن سامح ظل مطأطئا رأسه)

د.يحيى : إزيك يا سامح

سامح : أنا كويس الحمد لله

.....

د.يحيى : كتر خيرك، الدكتورة داليا بنت طيبة

سامح : آه ، قوى قوى، بنت حلال

د.يحيى : الحمد لله رب العالمين، ربنا يبارك لها، إنت عارف إنها متجوزة وهى صغنطوة كده؟ عارف إنها متجوزة ولا ما قالتش لك؟

سامح : لأ

د.يحيى : (للدكتورة داليا)، إنت محببة عليه ليه؟ ورى له الدبلة باشيخة، طلعي إيدك على المكتب إنت مكسوفة؟ هؤا الجواز عيب؟

د.داليا : وإيه المشكلة ؟ ما انا قاعده معاه بقال كام يوم

سامح : أنا شفت الدبلة حضرتك

د.يحيى : طيب امال بتقول لسه ما اتجوزتشي ليه ؟

سامح : ما خدتش بالى وانا بارؤد

د.يحيى : يبقى متجوزة ولا مش متجوزة ؟ لأ وإيه !! دبلة إيه !! دبلة فيها أوماظ

سامح : الحمد لله

.....

التعقيب:

تركنا هذا المقتطف مطولا هكذا، برغم وروده مفصلا في نشرة الأربعاء 17-12-2008، لنعرض أن الاحترام الذى سنحاول أن نتكشف أبعاده، والذي بدا من خلال التساؤلات أنه الطريق إلى

بداية ما، لا يتأتى بإعلان الاحترام بالألفاظ ابتداءً، بقدر ما يمكن أن تحقق بعضه بمثل هذه البدايات التي ترفع الكلفة، وتعامل المريض بالمثل، وتتكلم في خصوصيات مهمة، في حدود المتاح .

أثناء المقابلة في الأسبوع الماضي، حاول الأستاذ أن يفهم الزميلة مقدمة الحالة ألا تكتفى لتقييم مستوى تعليم مريض أو حتى هو أميته علي فصله الدراسي، أو حتى على حصوله على شهادة عامة، نظرا لما آل إليه حال التعليم في مصر، ولاختبار ذلك عند سامح، قام الأستاذ بطلب أن يكتب سامح شيئا ما، وكان المقصود هو التحقق مما حصله حتى الإعدادية بعد الشك السالف الذكر، لكن هذا الطلب تفتق عن ظاهرة لها دلالات إكلينيكية نعقب عليها بعد عرض مقتطف منها على الوجه التالي :

المقتطف:

(مع الاعتذار للتكرار لأنه لا يمكن التعقيب عليه إذا كتب بأكمله)

د.يجيى : ياللا يا سامح ورينا كده إكتب أى حاجة (يعطيه ورقة وقلم)

سامح : بس خطى...

د.يجيى : إستنى بس، خطك إيه وبتاع إيه، هوا احنا بنحسّن الخط؟ ياراجل اكتب هنا

سامح : ماشى أكتب إيه يادكتور

د.يجيى : أى حاجة

سامح : أكتب قرآن؟

د.يجيى : زى ما انت عايز، (يكتب سامح فينظر الدكتور فيما كتب ...) باسم الله ، ما شاء الله، والله خطك أحسن من خط الدكتورة داليا، طب اكتب اسمها بالكامل

سامح : ما اعرفوش

د.يجيى : إسألها يا أخى

سامح: طيب يادكتورة داليا حضرتك إسكّ الدكتورة داليا إيه

د.داليا الشافعى: داليا الشافعى

د.يجيى : داليا إيه؟

سامح: داليا الشافعى

ينقل طلب الكتابة بأن يطلب من سامح أن يتجاوز مجرد كتابة أسماء، بل جملة مفيدة (يكن الرجوع إلى التفاصيل في نشرة يوم الأربعاء الماضي)

سامح: (يكتب) "سامح يشرب اللبن"

ثم بعد إخراج

سامح: سامح يأكل الطعام ويمشي في الأسواق

د. يحيى : ويمشي في الأسواق؟ يا ولد !!! ده النبي عليه الصلاة والسلام هو اللي كان ييمشي في الأسواق، أكتب جملة فيها داليا

سامح: حاضر

.....

سامح : (يكتب والأستاذ يتابعه) داليا

د. يحيى :

سامح: تشرب

د. يحيى : (متدخلا) لأه خليها تشرب حاجة تانية، دي متجوزة

سامح: (يكتب) داليا تشرب الببسي

.....

د. يحيى : يا سامح...يا بنى، الكلام اللي انت كاتبه ده يكتبه طفل عنده سبع سنين، إكتب كلام كبير بقى بتاع واحد عنده 17 سنة، مثلا كلام فيه حب وحاجات كده

سامح: حب وحاجات كده ؟

د. يحيى : يعنى..: قصه مثلا ؟

(سامح يكتب كلمة " قصة ")

د. يحيى: جرى إيه يا جدع انت، الدكاترة حايقولوا عليك (كلام من بتاعهم) ، ، يا واد اكتب حدوتة، يعنى راخ، ذهب، خرز، ثم وجدها ثم قبلها في عينيها، فقالت له : بلاش تبوسنى في عينيًا؟ دى البوسة في العين تغرق ، كلام من ده ،

(سامح كتب ثم رفع رأسه)

د. يحيى : إقرأ اللي كتبتة

سامح: "خرج ثم عاد الى البيت"

د. يحيى : هوه مين اللي خرج وعاد قوام كده؟

سامح: سامح

د. يحيى : أنا كنت متوقع كده برضه

سامح: خلاص ؟

د. يحيى : خلصت القصة بقى كده خلاص ؟

يسير في خط مضطرد، وإنما هو يسير متبعاً هذا البرنامج (وغيره)، بمعنى أنه يتراجع ليتقدم، ويكون النمو إيجابياً حين يكون ضلع التقدم للأمام (للواقع، للآخر، لليقظة) أكبر من ضلع الرجوع (الرحم، الانغلاق في الذات، النوم)، فإذا حدث العكس، فإننا نعتبر ذلك بداية في العد التنازلي نحو كهولة أو تدهور ما، أما إذا تساوى الضلعان طول الوقت، فهو توقف النمو الذي يظهر عادة فيما يسمى "اضطراب الشخصية"، إذ تصبح الحياة مجرد "سكرت مَعَاد"،

هذه التجربة، التي ظهرت بالصدفة، أظهرت لنا كيف أن ثم نزوع في هذه الحالة إلى تغليب ضلع الرجوع بشكل لحوح، فهو بمجرد أن سح - في كتابته- لسامح أن يخرج، حتى أعاده إلى البيت فوراً، حتى أنه أعاده ذات مرة دون أن يخرج أصلاً، فإذا رجعنا إلى المشاهدة الأولى، الثلاثاء 16-12-2008، وجدنا أن انطواءه داخل حجرته ليل نهار، يرجح تفسير ما ذهبنا إليه من خلال هذه التجربة التي جاءت بالمصادفة بشكل ما .

المقتطف:

تابعت المقابلة بعد ذلك حتى وصلنا إلى منقطة الحديث عن خيرة القهر المنحرفة التي أشرنا إليها سالفاً، وهنا طلب سامح أن ينهي المقابلة بزعم أنه يريد أن يذهب ليتناول إفطاره (كانت الساعة لم تتجاوز الثامنة صباحاً)، وقد شك الأستاذ في هذه الرغبة، كما يلي :

.....

د.يحيى : طيب اختار بقى، إنت عاوز تروح تفطر، بتقول يعنى كده، نعمل إيه؟ نصدقك وتصدق نفسك، ولا نشوف إيه اللي خلاك تقول كده (في اللحظة دي بالذات)؟ يعنى من كتر أكلك ياخى، إنت مابتاكلش يا سامح خالص، إنت خاسس جدا (ينظر سامح إلى الأرض أكثر فأكثر)، إنت مابتبصليش ليه يا سامح

سامح: ما هو أنا باصص لحضرتك أهه (دون أن يرفع رأسه)

د.يحيى : إنت في أول الكلام كنت بتبص وزى الفل، إنت ليه مابتبصليش دلوقتى؟ إيه اللي حصل ؟

.....

ثم ينتقل الحوار إلى تناول طبيعة العلاقة التي وصفت "بالاحترام" تحديداً

.....

د.يحيى : عارف يا سامح يعنى إيه "احترام" ؟؟

سامح: آه

د.يحيى : أنا قلت لك كلمنى علشان تحترم بعض، ويمكن تحب بعض وهما الاثنان عندي زى بعض، الحب والاحترام، ما فيش واحد من غير التانى، إيه رأيك ؟

سامح: حاضر يادكتور

د.يحيى : الله يحضرك الخير، يعنى إيه بقى اللى انا باقوله ده، يعنى إيه تحترم بعض

سامح: يعنى أنا أحترم حضرتك علشان حضرتك أكبر منى

د.يحيى : طيب وهو أنا حاحترمك ازاي مع إنك أصغر منى؟ ينفع؟

سامح: لأه

د.يحيى : أنا برضه كنت متوقع إنك حاتربط الإحترام بالسن ويمكن بالمركز

سامح: آه بالمركز

د.يحيى : وانت صغير وما عندكش مركز ، يبقى ما احترمكشى بقى ولا إيه ؟

سامح: آه

د.يحيى : آه ازاي؟ ازاي ما احترمكشى، وليه ؟

سامح: لأه ، طبعاً ما تحترمنيـش

د.يحيى : يعنى أستنىى كام عشر سنين كده لما تبقى تكبر ويبقى عندك مركز علشان احترمك

سامح: ماهو أنا حاخذ الدبلومة

د.يحيى : من غير ما تاخذ الدبلومة، ماتبقاش محترم؟

سامح: آه من غير ما آخذ الدبلومة ماتبقاش محترم

د.يحيى : ما ينفعشى، دا مجرد إن ربنا خلقت تبقى محترم ؟

التعقيب:

أتعامل مع الاحترام هنا (وعموماً) ليس باعتباره سمة أخلاقية، وإنما باعتباره (وجدانا أساسياً)، تتمحور حوله ما نسميه "العلاقة بالآخر"، وأحياناً "الحب" بالمعنى الناضج المستول، وقد وجدت صعوبة شديدة في أن أربط ما يسمى الحب، بما أقصده بالاحترام، إذ أننى بمجرد أن أذكر كلمة "احترام" يقفز إلى وعى المتلقى (كما حدث ويحدث مع سامح) مفهوم أخلاقى فوقى عادة . الاحترام الذى أعنيه هنا، والذى أتصور أنه ذخيرة علاجية خصوصاً في حالة مثل حالة سامح ، يشمل القبول الكلى، والمعاملة بالمثل، (العدل)، والوعى باللحظة، والقدرة على التزك، وحضور هذا "الآخر" في وعيك بشكل ما ، "مخزماً" له كل هذه الحقوق، حالة كونه غائباً عن ناظريك هنا والآن، كل هذا يحدث بشكل تلقائى معاً، بحيث لا يمكن تحليله إلى مفرداته كما فعلت أنا هنا حالاً مضطراً (على ما يبدو)، من هنا مجئ الاحترام من الفوقية، والفرجة، والاستعمال، والشفقة، والتضحية، وربما من بعض أنواع الحب الساخن.

أنا آسف ، لكنه استطرد عفوى، يبدو شديد الصعوبة، مع أننى تصورت أنه قد يكون قد وصل لسامح بشكل ما ، دعونا نرى :

المقتطف:

سامح: ما هو أنا لو اسيب الدبلوم واشتغل، ... بس الجيش حايطبّ عليا

(يضع يده على رأسه قرب عينيه وهو مطأطن، وكأنه يخفى بها عينيه)

د.يجيى : ..هوه انت حاتخط لى إيدك على راسك ليه؟ هوه فيه شمس؟ كنا بنقول: هوه ماينفعش أحترمك من غير دبلومه؟

سامح: مافيه ناس بتشتغل وبتبقى فى الشارع...

د.يجيى : رد علىّ الأول، هوه ما ينفعش أحترمك علشان ربنا خلقك زى ما خلقنى؟

سامح: لأه ينفع

د.يجيى : طيب نبتدى كده وبعدين تُفرج، ربنا خلقك وخلقنى، وانت ليك حق ما دام اتخلقنا، وانا لى حق زيك، نبتدى كده، وبعدين نشوف

سامح: إنت حضرتك ليك حق تاخذه منى، إنما أنا ماليش حق عند حد أكبر منى

د.يجيى : إزاي ده بقى؟! دا الصغير هو اللى ليه حق عند الكبير إن الكبير ياخذ باله منه، إزاي مالكش حق يابنى؟

التعقيب:

نحن نتكلم كثيرا عن حقوق الإنسان، ونركز على المواثيق المكتوبة، ثم حين نتكلم عن حقوق الطفل نركز أيضا على التعليم والصحة والحماية وما إلى ذلك. اكتشفت بعد هذه المناقشة عند سامح، وهو يؤكد وهو فى عز مرضه أنه "أنا ما ليش حق عند حد أكبر منى" تصورت أن هذه هى القاعدة عند كثير من أطفالنا، إن الشعور بأن لك حق، لا ينبغي أن يبلغه أنك لا تحصل عليه، طفلا أو ناضجا، إن حرمانك من تفعيل واقعى لما يتطلبه حقك إنما يؤكد حقك هذا، لا ينبغي، أعتقد أن هذه طبيعة بشرية، تبدأ مع الطفولة، ولكنها لا تصل إلى الوعى بسهولة، إنها نقطة بداية أن تكون بشرا، فلم يقطع الكائن الإنسانى هذا التاريخ الطويل هباء، وإنما ليكون إنسانا كما أراد له الحق تبارك وتعالى، وربما هذا الموقف هو ما يكمن وراء تأكيدي لسامح طول الوقت أن حق الاحترام هو قائم بخرد أننا، هو وأنا، خلقة ربنا.

لعلك لا حظت كيف ربطت بين تلك الخبرة البشعة وبين "الاعتراف"، حتى هذه الخبرات تحمل وظيفة اعتراف مشبوه مع أو بدون وظيفة اللذة، لست متأكدا، لكن ربما هذا ما جعل كلمة

"الاعتراف" تقفز لي وأنا أفسر طول مدة الممارسة واحتمال اشتراكه في الموافقة الخفية، حين تقمصت الأطفال وأنا أكتب لهم أراجيز الفطرة ، أكدت على حقوقهم على لسانهم في أرجوزة الحقوق الحقيقية، وقد سبق نشرها في الدستور يوم_3-10-2007 ، فأقتطف منها ما هو مناسب لحالة سامح:

حقي انا بحق وحقيق: إنني خلقت ربنا
يبقى مش من حقي أفزط في اللي خلاي: أنا

بس ده مش حقي وحدي

ما هو عندك زي عندي

أنا حقي ، وانت برضه ، مثلي خالص
إنني اكون وياك وفاهم،

... وانت باصص

حقي إنني أعيش كما شاء ربنا
يعني بني آدم ضعيف،

لكن قوي بينا كلنا

أنا حقي أكون ياخويا محترم
ماتسجئشي جوا شكلي واترسم

حقي كل ما اخلص اني أبتدي

حقي إنني لما أغلط أهتدي

أنا حقي آخذ الفرصة واعبر

أنا حقي أعيد نظراً، وارجع أفكر

"فهمني أسباب ما حصل"، يمكن يفيد،

... بس يفضل حقي أبدأ من جديد

حقى إني أكون بنى آدم وبس
حقى إني زى ما بافكر، أحس

حقى إن يكون صحيح "أنا ليّا حق"
مش هبه من حد أو حتة ورق
المقتطف:

نرجع إلى سامح، فنعيد آخر جملتين ثم نكمل
سامح: إنت حضرتك ليك حق تاخذه منى، إنما أنا ماليش حق
عند حد أكبر منى

د.يحيى : إزاي ده بقى؟! دا الصغير هو اللى ليه
حق عند الكبير إن الكبير ياخد باله منه، إزاي مالکش حق
يابنى؟

سامح: ما هو كده بقى وخلص

د.يحيى : كده وخلص إزاي؟ الناس تكبر إزاي وتترى إزاي؟

سامح: طيب بعد إذّنك يادكتور علشان حاروح أكمل فطار

د.يحيى : مايجب الفطار هنا

سامح: لأه

د.يحيى : لأه ليه

سامح: علشان أنا قاعد محروج

د.يحيى : قاعد محروج!! آه ، قول كده بقى، أول ما
بيزيد الحرج، هُتَبْ : تقول عاوز أفطر، يادُ أنا فاقسك،
إنت عاوز تقعد معايا، بس محروج، مش كده؟

سامح: أيوه أنا عاوز أقعد مع حضرتك

د.يحيى : ما أنا عارف، فا بتقول عاوز افطر وتتحجج
بأى حجة كده

سامح: صح

د.يحيى : صح؟ والله لو قاصدها تبقى جميل

سامح: ده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

د.يحيى : عليه الصلاة والسلام ، سيدنا محمد ماله؟

سامح: لأه ده هو اللى فيه الصفات ديه

د. يحيى : صفات إيه اللى قلناها ديه فى سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام

سامح: هو اللى جميل شوية

د. يحيى : ... هو جميل شوية؟ دا جميل كتير، بس انت جميل برضه

سامح: لأه لأه، مش حابقى أحسن من حضرتك

د. يحيى : وهو أنا جميل

سامح: آه

التعقيب:

نلاحظ هنا بدايات متنوعة للعلاقة العلاجية ، وبمجرد أن بدأت شعر بمخطر الاقتراب، وطلب الذهاب ليتناول إفطاره، لكن استمرار الحوار كشف كيف تواكب هذا الاستئذان للمغادرة ، مع رغبته أن تستمر المقابلة

تعبير "الجمال" هنا له وضع خاص، فغالبا هو لا يشير إلى الشكل، وإنما يشير إلى هارمونية الكل، ونوع الحضور، نعيد آخر سطرين ثم نكمل

المقتطف:

سامح: لأه لأه مش حابقى أحسن من حضرتك

د. يحيى : وهو أنا جميل ؟

سامح: آه

د. يحيى : طيب متشكرين يارب مجليك ، (ينظر سامح فى الأرض ، وينحى أكثر) لأه ماتغطسنى تانى الله مجليك، إحنا ماصدقنا بصينا لبعضينا، أعزم عليك عزيمة بس صعبة

سامح: علىّ انا !!؟

د. يحيى : حازم عليك إنك تخف

سامح: علىّ انا !!؟

التعقيب:

نلاحظ أن تكراره التساؤل التعجبي "علىّ انا" يؤكد مدى رؤيته لعدمية وجوده، وكأنه ليس من حقه أن يشارك فى أخذ رأيه حتى فيما يخص أهم ما هو حاضر من أجله

المقتطف:

د. يحيى : حازم عليك إنك تخف

سامح: ماشى

التعقيب :

سرعة الموافقة هنا مشبوهة، لكن لا يمكن أن ترفض مجرد الشبهة، إن احترام إرادة المرض (المشاركة في اختيار الحل المرضى بواسطة مستوى ما من مستويات الوجود) هو الذي يبرر ويسمح بقبول المشاركة في إرادة الشفاء، هكذا وبهذه المباشرة، والتنبية التالي بأن اختيار الشفاء صعب بهذه السرعة يحاول كشف هذه الشبهة

المقتطف:

د.يحيى : باقول لك صعبة

سامح: صعبة إني أنا أخف؟؟

د.يحيى : آه طبعاً ، تخف يعنى حاتلقى نفسك يا بتروح المدرسه علشان الجيش يبقى سنتين بس، يابتروح تشتغل، وانت لاعاوز ده ولا ده، إنت عاوز ترضع وتقعدي البيت، ومع ذلك لا بترضع ولا بتاكل، ولا بتتنيل، أنا عاوز أعزم عليك إن المرض ده مانفبعشى، فياللا نشوف حاجة تنفع مع الدكتوراه الحلوه دى،

التعقيب:

الأسلوب المتبع في معظم الحالات التي تتوثق فيها العلاقة العلاجية ، (ولو من أول مقابلة) وتحدد البصيرة، يمكن أن يعلن من خلاله فشل الحل المرضى حتى إذا كان قد حقق بعض أهدافه من الانسحاب أو التخلي ، أو بعض الأهداف الإيجابية من الاحتجاج أو التوقف عن انحرافات لم تعد ممكنة (مثل هذه الحالة)، أقول إن كشف فشل الحل المرضى هكذا بطريقة مباشرة، هو الذي يسمح بهذه المباشرة، أعني دعوة المريض لاتخاذ قرار العلاج نحو الشفاء "عزومة الخفان"، وهذا قد يفسر استجابة المريض مع رؤيته الصعوبة.

==

ثم ينتقل الحوار إلى المنطقة الحرجة بشأن القهر المزدوج (من الداخل والخارج)

المقتطف:

د.يحيى : ..بصراحة يابنى الدكتوراه داليا قالت لنا شوية حاجات كده صعبة ، لقيت نفسي صعبان علي من اللي حصل ده، صعبان علي اللي ولاد الكلب دول عملوه فيك، بقلة الأدب ديه، صعبان علي مجد

سامح: آه... آه...

د.يحيى : عاوز اقف معاك يا أخی، من دلوقتي، إنت ما تقدرشى تمسح كل ده لوحك؟

سامح: أيوه صح بس هما فيه ناس منهم شغالة في المدرسه دلوقتي...، هما مش عاوزين حد ينفع، مش عاوزين أى حد ينفع إلا هما،

د.يحيى : يا سامح

سامح: نعم

د.يحيى : أنا موجوع من الحكايه دى أوى

سامح: موجوع ؟

د.يحيى : آه

سامح: لأه ألف سلامه

التعقيب:

لم يصدق سامح أن الطبيب يمكن أن يتألم معه أو له ، وربما تصور أن الطبيب يشير إلى ألمه الخاص، فبادر أنه "ألف سلامة"، لكن الطبيب أكمل:

المقتطف:

د.يحيى : عارف ليه موجوع، أنا خايف أضايقك أكثر من كده، إنما حاقول لك، واللى يحصل يحصل، مايمكن يا سامح عندهم نسخه ثانية من الفيلم ده، دول ولاد كلب

سامح: آه صح

د.يحيى : مافكرتش فى الحكايه دى؟

سامح: لأه أنا فكرت فى الحكايه دى قبل كده وأنا فى الحمام باعمل حمام، حسيت إن فيه حاجه كده فى بطنى

د.يحيى : حاجة إيه ؟

سامح: حسيت إن فيه حاجة كده حاتيلى بس مفيش حاجه جت

د.يحيى : حاجة إيه اللى حاتيلى

سامح: حاجه زى ولد مثلاً أو أى حاجه

د.يحيى : ولد إيه منين

سامح: ولد منهم هما الإثنين

د.يحيى : حاجيلك فى الحمام

.....

سامح: آه،... حاجيللى فى الحمام ده وأنا باعمل حمام

د.يحيى : حسيت إن حاجه حاتيلى منين؟ من بطنك؟

سامح: أيوه

د.يحيى : حاتولد يعنى؟

سامح: آه

د.يجيى : هو كان بيحصل الحاجات دى (مع الأولاد دول) كاملة يابنى ؟

سامح: آه

د.يجيى : كل مرة ؟ كل مرة؟

سامح: آه

د.يجيى : ماكانشى بيوجع

سامح: كان بيوجع ساعات

د.يجيى : كنت عاوزهها ساعات ساعات

سامح: لأه

د.يجيى : ساعات ساعات يعنى

سامح: ده غضب عنى

د.يجيى : ساعات ساعات

سامح: ساعات ساعات إيه حضرتك

د.يجيى : كنت عاوز

سامح: ساعات حضرتك آه، كان برضايأ الأول قبل مايقولوا الصور فى الكاميرا والكاميرا فيها 36

التعقيب:

لأول مرة يقر سامح أن المسألة كانت برضاه، ولو أنه حدد هذا الرضا فى المرحلة الأولى فقط، لكن ليس بالضرورة أن تكون هذه هى الحقيقة، وحتى لو كانت حقيقة فليس من المحتم أن تكون قد وصلت إلى وعيه ظاهرا، فقد يكون الرضا والرغبة قد اختفيا بعد ذلك فى داخله، ومن ثم أصبحا يثيران ما أسميناه القهر الداخلى الذى كان عليه أن يقاومه جنبا إلى جنب مع القهر الخارجى.

المقتطف:

د.يجيى : باقولك إيه

سامح: نعم

د.يجيى : عاوزين نربط الكلام اللى احنا بنقله ده بالإحترام، هوا انا أقدر أحترمك، حتى لو كنت ساعات كنت عاوز الحاجات دى، غضبن عنك يعنى ؟

سامح: آه

د.يجيى : يا ريت يابنى ده يوصل لك بصحيح، ما هو ما إذا كنت انا باحاول اقبلك أو أصحابك، لازم اعمل كده (اقبلك واصحابك) وانا عارف كل ده، ومع ذلك أدينى باحاول

اه يا بنى قدامك إننا نتصاحب، أنا باحترمك وموجوع معاك، مش مسألة صعبانية، أنا شخصيا مش فاهم إزاي باتكلم بالشكل ده، حتى بصراحة وانا باتكلم باحاول اصدق نفسي، وعايذك تصدقنى، إنت مصدقنى؟

سامح: لأه

التعقيب:

واضح أن الكلام المباشر (مثل: "باحاول اقبلك، أو اصاحبك"، أو.. "أنا باحترمك وموجوع معاك")، هو مخاطرة قد تفقد الكلام قدرا من فاعليته، لكن أن يعترف الطبيب أنها مسألة صعبة، حتى أنه نفسه وهو الذى يقولها لا يكاد يصدق احتمال صدقها أو تحقيقها، ربما تكون هذه المصارحة هى التى سمحت لسامح بمواكبة الحوار، حتى أنه رفض تصديق الطبيب، سواء تصديق محاولته، أو تصديق أنه يحاول أن يصدق نفسه.

ليس من المفروض أن يبدو الطبيب أمام مريضه أنه متأكد من كل شيء (أبو العريف) إن إعلان الحيرة والصعوبة والعجز بصدق يسمح للمريض بالحركة والمشاركة بدلا من التلقى والطاعة من سلطة تبدو واثقة طول الوقت من كل شيء، حتى لو كانت علمية. ثم يستمر الحوار:

المقتطف:

د. يحيى : طيب ماشى، أنا مصدق إنك مش مصدقنى، إنما اللى حصل إن وصلنى إنك محترم أعمل فى ده إيه ؟

سامح: لأه أنا مصدق حضرتك

د. يحيى : مصدقنى إن إيه

سامح: إن حضرتك محترمنى

د. يحيى: حتى لو انت كنت عاوز اللى حصل، برضه باحترمك، واللى عاجبه، (يغطس بوجهه إلى الأرض أكثر) دقيقة واحدة الله يخليك، والنبي يا سامح الله يخليك ما تبعدهش، دقيقه واحده علشان تصدق يمكن إذا ما صدقتشى كلامى، تصدق وشى

التعقيب:

هذا الطلب من المريض أن ينظر في وجه الطبيب وهو يعلن بالألفاظ أمورا صعبة، يصلح أكثر مع المرضى الذهانيين وربما صغار السن، إن التواصل في هذه المناطق الصعبة (الاحترام، والتصديق، والاعتراف، والاقتراب) يحتاج أكثر من قناة تواصل في نفس الوقت، وتبادل النظر وقراءة الوجه بعض ذلك

المقتطف:

سامح: آه صح، حتى حصل..

(ربما كان يشير إلى تساؤل الطبيب المخرج بقوله " حتى لو انت كنت عاوز اللى حصل،.....")

د. يحيى: خلاص اللي حصل حصل، إنت محترم وخلص، محترم غصين
عنك، إيه رأيك؟

تعبير محترم غصين عنك، يحتاج وقفة هنا
التعقيب :

يبدأ الاحترام بالاعتراف من مصدر خارجي يمثل كيانا راعيا
حازما، لكنه سرعان ما يحتاج إلى أن يحترم الشخص نفسه، أن
يعتز بحقه في الوجود، في الاعتراف، فإذا تنازل الشخص عن ذلك
مرغما -عادة- في البداية، ثم تنازل بالتعود، ثم تنازل
للصعوبة ثم تنازل عقابا للذات كما نفترض في هذه الحالة ،
فهو يحتاج أن يبدأ استعادة الاحترام من خارجه كما يحاول
الطبيب هنا، وقول الطبيب "إنت محترم" ، هو نقلة من "أنا
أحترمك"، ليصبح الاحترام هو حق وصفة المريض الآتية (غير
المشروطة في هذا السياق) بموقف الطبيب وحده

ثم يؤكد الطبيب الجانب المحتمل أن يحل بوعي سامح إذ كيف
يكون محترما، وكيف يمكن أن يحترمه الطبيب برغم ما حدث، وبرغم
اعترافه الضمني أنه كان مشاركا، ويبدو أن الطبيب قد التقط
هذا الظن فأكمل

المقتطف:

د. يحيى: حتى لو انت كنت عاوز اللي حصل، برضه باحترمك

(ثم) خلى بالك ، الحكاية مش شعبانية

التعقيب:

التنبيه هنا للتفرقة بين الصعابانية (الشفقة) والاحترام،
هو صعب أيضا، وربما يكون صعبا أصلا على الطبيب أو المعالج،
ولا يكفي توضيح الفرق بالألفاظ هكذا، وإنما يمكن ممارسة
الفرق بالحرس على معاملة المثل، ومواصلة الحوار بشكل أو
بآخر ، الطبيب هنا يتكلم عن "الحكاية" أى عن العلاقة التي
تتكون بينه وبين سامح ، لكن سامح أخذ الحكاية على أنها
الخبرة المرصاة السالفة الذكر فقال:

المقتطف:

سامح: الحكاية انتهت من زمان ؟

د. يحيى: لأ ما انتهتش ولا حاجه، الحكاية لسه جواك،
..... زى الخراج المدود

سامح: وانا ؟

د. يحيى: إنت موجوع ؟

سامح: جوايه في بطني؟

د. يحيى: لأ أنا مش باتكلم على اللي بطنك، ده حا نرجع له
بعدين، أنا ما باتكلمشى عن الولد اللي خفت لينزل وانت بتحرق.

سامح: ليه؟ هو أنا فياً ولد؟

د.يحيى: مش أنت اللى بتقول؟ ما دام قلت يبقى نصدق،

التعقيب:

عادة، وعند معظم الأطباء، تعامل مثل هذه المعتقدات بالنفى، (لا دا ما فيش حاجة في بطنك، ده انت بيتيهأ لك ..إخ)، لكن الأسلوب الذى ننتهجه هنا (وفى غير هنا) هو أن نبدأ بالإقرار (ليس: أن نأخذ المريض على قدر عقله) حتى لو كان المريض هنا جاهز لقبول الإقناع الظاهرى، ذلك لأن ما يشعر به المريض هو ما يشعر به، وهى لغة جسدية هنا، وترجمتها أو حقيقتها هى أنه يشعر بها، ولهذا أصر الطبيب بأن يعترف بحقيقتها، ثم يركنها على جنب كما قال

المقتطف:

سامح: حاضر يا دكتور

د.يحيى: يا رب حضرك الخير يا ابنى، الخيره اللى بتوصفها دى مش هزار، إنت حاتألف ليه؟ يبقى لازم نصدقها ونشوف لها حل، جت منين، جه، جه الإحساس ده يعنى وانت بتحزق، ماجاش من إتهم لما ناموا معاك فبقى جواك ولد، يمكن جته من المخ، ولأ حاجة.

سامح: صح

د.يحيى: حانشوف لها حل سواء، بس انت عمال تقول صح صح، هوا إبه اللى صح؟

سامح: حانشوف لها حل؟

د.يحيى: سواء، باقول سواء، أنا وانت وداليا، قصدى إنت وداليا وأنا

سامح: آه حانشوف لها حل سوا

د.يحيى: مش عايزين بقى حكاية محروج وعاوز افطر وبتاع، مش كل ما نقرب تبعد، وتقول عايز افطر.

د. يحيى: وعشان ماكذبش عليك، الحكاية صعبة قوى

التعقيب:

بديهى ألا نأخذ موافقة سامح هكذا كأنها موافقة حقيقية، موضوعية، ربما هو يوافق لعدم الفهم، وربما هو يوافق من باب الطاعة، وربما هو يوافق لمجدسه الذهان الأقوى، وربما هو يوافق للحرس على استمرار العلاقة البادئة، لهذا، فإن تدارك الطبيب بالتأكيد على صعوبة المشورا جاء هنا للتنبيه على احتمال أن تكون الموافقة سطحية أو لعلها موافقة على شىء آخر، ثم إن المبادرة بتوضيح الصعوبة برغم موافقة سامح، هى لتؤكد أن المهمة ليست مهمته وحده، ولا هى مهمة الأطباء فقط، لكنها مهمة مشتركة، وكل هذا يشير إلى هذا النوع من العلاج الذى يشترك فيه المريض إيجابيا، ومن البداية،

ثم يتواصل الحورا من سامح معلقا على أن "الحكاية صعبة قوى "

المقتطف:

سامح: هؤا أنا صعب ؟

د. مجيى: لا إنت مش صعب، اللي احنا بنعمله ده هوه اللي صعب صعب

سامح: صعب أوى، صعب أوى أوى ؟

د. مجيى: أوى

سامح: يعنى ممكن ما يخلصشى على طول؟ ياخذ وقت؟ طب ياخذ وقت يعنى أنا أقعد فى المستشفى كتير؟

د. مجيى: لا لأ مش المسألة المستشفى؟ الصحوبيه والاحترام هما اللي صعب، اللي بنقوله ده بياخذ وقت على ما نصدقه، وعلى ما نستحملة، وعلى ما نستفيد منه، بياخذ وقت يا سامح،

التعقيب :

التأكيد على الوقت والتوقيت هنا شديد الأهمية حتى لا تصبح المسألة مناقشة وإقناع، العلاج هو عملية إعادة تشكيل وليس فقط إعادة تأهيل، هو بداية لرحلة نمو جديدة، وكل نمو يحتاج لوقت ممتد.

.....

.....

المقتطف:

سامح: أنا حاقول للدكتورة داليا إيه

د. مجيى: قول لها أى حاجة ، بس تبص لها زى ما بتبص لى، ولما تيجى تكلمنى تبصلى، ولما تيجى تكلمها تبص لها، يبقى بتحرك راسك ما بينى وما بينها، ناحية اللي بتكلمه، يبقى ابتدينا،

سامح: ما انا مش عارف أقول إيه للدكتوراه داليا

د. مجيى: أنكشيه يا دكتوراه داليا، زى ما انا بانكشه، هو انا صعب إن أنا أحرك فيكى الاحترام اللي باحكي عنه ده، مع إنه (حاجة طبيعية) خلقة ربنا، أصل أخاف أطلبه منك يطلع لى حب مالى بدأتى بيه، وصعبانية وشفقة وكلام من ده، مش ده اللي سامح محتاجه بصراحة، أنا مش رافض المشاعر دى، بس مش هى اللي هيه هنا ودلوقتى، انا كل شويه أشك فى نفسى، وأخاف لاكون باكذب وإن مش قد الكلام ده، عارف يا سامح أنا باحترمك ليه، عشان : أول حاجة خلقة ربنا، وتانى حاجة عشان إنت مكافح.

التعقيب :

في التدريب، لا ينبغي أن ينبه المتدرب على نوع المشاعر الأصلى للعلاج، لأنها لا تستدعى بالأمر، ولا هى موقف أخلاقى، وهذا التنبيه من الأستاذ للزميلة الأصغر يتضمن اعتراف الأستاذ بشكه حتى فى تلقائية مشاعره هو، مما قد يشجع الزميلة المتدربة ألا تبادر بالتقمص أو الزعم - لا شعوريا- بما لا تعيشه فعلا، ثم إن الطبيب قد التفت إلى المريض مباشرة دون أن ينتظر تعليقا من المريض، لشرح أكثر لما وصله من محاولة سامح مقاومة القهر الخارجى، والداخلى، بالمرض.

المقتطف:

د. مجيى: عارف يا سامح أنا باحترمك ليه، عشان : أول حاجة خلقة ربنا، وتانى حاجة عشان إنت مكافح.

سامح: أنا مكافح؟؟!!!

د. مجيى: إنت صحيح خايب فى المدرسة، وخايب فى الشغل

سامح : امال مكافح فى إيه بقى؟

د. مجيى: بصراحة فى إنك عييت، يعنى بعد الإهانات دى واللى حصل، والرغبة، والرعب، والتهديد، قمت رافضها كلها حتى بالعياء .

سامح: آه

د. مجيى: أه إيه يا شيخ، هوا الحكاية إيه، دانا باقول الكلام ده، زى ما اكون أنا نفسى مش فاهم قوى، تقوم تقول آه ؟

التعقيب:

اعتراف آخر من جانب الطبيب بالحيرة، وتحفظ معلن خوفا من الموافقة السطحية من المريض، دون رفض احتمال موافقته الفعلية

المقتطف:

سامح: يعنى أستمر فى الحكاية اللى أنا فيها دى

د. مجيى: لأه الحكاية الوسخة، لأ، طبعاً، ما انت ما اقدرتش تستمر، فيه ناس بيستمروا، وما بيعيوش

سامح: آه

د. مجيى: إنت رحت عيان، فبيتهياً لى العياء ده هو اللى أنقذك، تبقى مكافح ولا لأه؟ بس الحكاية تبقى صحيح كفاف لو كملنا سوا سوا، إنت مكافح عملت حاجه جوه وبره، جوه وبره، قعدت تحارب جامد، وبعدين تعبت اكسرت، إنما ما استسلمت، لا للى جوه، ولا للى بره .

التعقيب :

مرة أخرى: يُظهر هذا المقطع أسلوب المواجهة بطرح فروض الإمراضية (السيكوباتولوجي) على المريض مباشرة، وباللألفاظ، وهو أمر غير مضمون النتيجة، ولا نعرف قدر ما يصل منه للمريض، لكنه عموماً لا يضر، وقد يصل بعضه، أو ينفج مؤخرًا حين نعود إليه، تساؤل سامح التالى يدل على أنه لم يلتقط حكاية "بره و جوه"، فسأل :

المقتطف:

سامح: جوه وبره في الشارع ؟

.....
.....

يستمر الحوار حتى يعيد الطبيب شرح ما يقصده من جديد قائلاً :

.....

د.يجيى: بصراحة (يا سامح إنت مكافح) في إنك عيبت، يعنى بعد الإهانات دى واللى حصل، والرغبة، والرعب، والتهديد، قمت رافضها كلها حتى بالعبا .

.....

ثم يتطور الحوار حتى يتساءل سامح عن السبيل للخروج من ورطة المرض:

سامح: ياه بس أنا أطلع منها ازاي؟ ده أنا على كده ممكن ماطلعش؟

د.يجيى: لأه، عندك، ما دام ربنا موجود، وعايظنا زى ما خلقنا، يبقى حاتطلع ونص، يبقى لازم حاتطلع ميه ميه، أصل ربنا ده بيحب الخير، وإننا نرجع زى ما خلقنا

سامح: ربنا يقول للشئ كن فيكون

د.يجيى: بس بيهياً الأسباب، واحنا أسباب، مش كده ولا إيه؟

سامح: آه بيهياً الأسباب، يعنى واحد زى حضرتك يكون سبب لشفايا والدكتورة داليا والدكتور عمرو ودكتور أسامة تقريباً وكل الدكاتره الموجودين

د.يجيى: وانت وانت، إنت تكون سبب في شفاك

سامح: أنا أكون سبب في شفايا؟

د.يجيى: بس كده بقينا فرقة، خمسة اهم باسم الله ماشاء الله، رايح فين بقى ما دام ربنا بيحب الخير وبهياً الأسباب بقينا خمسة، مش واحد ولا اثنين، يبقى ما تقدرشى ترقد في الخط بقى.

سامح: ما اقدرشى

د. يحيى: حمد الله عا السلامة

(برجاء - لمن شاء - قراءة نهاية الحوار مع سامح، حيث كانت هذه الجملة الأخيرة نوعا من محاولة تثبيت أى قدر يعلن "بداية" رحلة الشفاء)

وبعد

في الحلقة الأخيرة (الثلاثاء القادم) سوف نعرض لبعض ما جاء في المناقشة التي دارت بعد المقابلة

ثم التعقيب العام

كما نرجو أن نربط بين جانب من هذه الحالة وبين حالة التدريب عن بعد التي عرضناها الأسبوع الماضي الأحد-12-28
2008